مخطوطة دليل النظام بين مخطوطات البحر الميت

يرى الثقاة أن هذه المخطوطة واحدة من أهم المخطوطات التى أغلتها كهوف البحر الميت وربما يرجع وجه الأهمية إلى أنها تلقى ضوءًا باهرًا على خلفية المسيحية والعهد الجديد. وهذه المخطوطة تكشف بدقة عن عقيدة الطائفة التى وضعتها والقواعد والتعاليم التى كانت تحكم الحياة اليومية لأعضاء مجتمع الطائفة؛ والميثاق الأخلاقى والتنظيمى للطائفة.

وكما نوهت عدة مرات من قبل كانت هذه المخطوطة إحدى المخطوطات السبع التى كشف عنها فى الكهف رقم ١ من كهوف قمران سنة ١٩٤٧. وقد وجدت فى إحدى الجرار التى يعتقد أنها على الطراز الرومانى، وربما أودعت فى الكهف فى القرن الأول الميلادى وكان هذا الدليل حال كشفه يقع فى قطعتين منفصلتين. وتكشف التشققات الموجودة فى الجلد الهش عن أن اللفافة كانت قد فضت عدة مرات ومن ثم فإننا لسنا متأكدين مما إذا كان قد تم قطع اللفافة إلى اثنتين حال الاكتشاف أم وجدت مقطوعة قبل الاكتشاف. ذلك أن القطعتين هما جزءان متعاقبان للفافة واحدة فى الأصل. والقطعتان تتألفان من خمسة دروج أو أفرخ من جلد خشن الملمس أو رقوق خيطت معًا. والقطعتان معًا تبلغان أكثر من ستة أقدام طولاً. وبداية اللفافة مفقودة ومن ثم يمكن أن يكون الطول الأصلى فى حدود سبعة أقدام. أما العرض فيبلغ ٩,٥ بوصة.

والعنوان الأصلى للمخطوطة مفقود إذا كان هناك عنوان يسبب تلف بداية العمل ومن ثم اجتهد كثيرون فى وضع عنوان للمخطوطة ولكن الغالبية على "دليل النظام"، وهناك (لائحة العمل بالجماعة)، (قانون عضوية الجماعة).

ويرى بعض الباحثين أن هذا الدليل يعطى وصفًا للطائفة التى وضعته – وهى فى الأعم الأغلب طائفة الإيسينيين – كما سنرى فيما بعد – والتى انسحبت من الحياة العامة إلى البرية لتعيش حياة الزهد والتنسك – ولا نقول حياة ديرية أو رهبنة – وتدرس العهد القديم أو الشريعة اليهودية (القانون). وهذا العمل يكشف عن عقائد هذه الطائفة والقواعد والتعليمات التى تحكم حياتها اليومية. ولعله من نوافل القول أن هذا الدليل يظهر فى إحدى عشرة قطعة مخطوطة أخرى تم العثور عليها فى كهوف أخرى مما يدل على سعة تداوله بين أفراد الطائفة وكثرة نسخه للعمل بما جاء فيه. وبعين خبير يرى بعض الباحثين أن عدم وجود ترتيب منطقى أو وحدة فى محتويات هذا الدليل تدل دلالة قاطعة على أنه جمع جمعًا تركيميا على شكل مذكرات من مصادر مختلفة.

ويبدأ العمود الأول فى وسط إحدى الفقرات التى تحدد ماذا ينتظر من هذا الذى (يدخل إلى العهد). وبعد ذلك تأتى تعاليم أو توجيهات الدخول إلى العهد والميثاق. وفى منتصف العمود الثالث يبدأ قسم جديد يتعلق بأصل الخطيئة ومستقبل تدميرها وتحتل قواعد التنظيم والنظام الأعمدة من ٥ – ١٠. وتختتم المخطوطة اللفافة بقصيدة أو مزمور تكريس جميل.

أما عن محتويات اللفافة فيمكن تلخيصها على الوجوه الآتية:

١ – قبل قبول العضو الجديد فى الجماعة فلا بد له من أن يمر بثلاث مراحل اختبارية. الأولى غير محددة المدة وفيها يحاول العضو الجديد أن يتعرف وأن يألف روح وممارسات الجماعة. وإذا أنس فى نفسه أنه يمكنه التواؤم وأنه قد مر بهذه المرحلة واجتازها فإنه يصعد إلى المرحلة الثانية ويلحق بحزب المجتمع ولكن بدون أن يلمس (نقاء الكثرة) وهذ المرحلة الثانية كانت تدوم لعام كامل. وفى المرحلة الثالثة التى تستمر أيضًا لمدة سنة يسلم العضو كل ثروته وممتلكاته الدنيوية التى كانت تميزه عن غيره. ولكنه مع ذلك لم يكن لينخرط فى القناة العامة فما يزال حتى هذه اللحظة مستبعدًا من (الزمرة المسيحية) وإنما فقط أصبح مقبولاً فى (نقاء الكثرة).

٢- وبعد أن يجتاز العضو فترة الاختبار المبدئى، لابد أن يمر العضو باحتفال الطقس وفى هذا الاحتفال يقوم الكهنة والليفيون (المتحدرون من قبيلة ليفى القديمة وهو ثالث أبناء يعقوب الاثنى عشر وهى القبيلة أيضًا التى يتحدر منها سيدنا موسى عليه السلام) بقراءة التبريكات عليه، ويتلو ذلك ترتيل بعض الترانيم عن عجائب الله. ثم يقوم هؤلاء الأعضاء الجدد الذين يدخلون العهد والميثاق بتقديم الاعتراف العام عن خطاياهم وآثامهم السابقة. وبعد هذا الاعتراف يتم تعميد العضو الجديد بقصد التطهر التام.

٣- هؤلاء الأعضاء الجدد الذين أدوا كافة الطقوس وتطهروا على النحو السابق يسمون حينئذ (الربابنة) تم يسكنَّوا على مرتبة نظامية داخل ثلاث مجموعات رئيسية: الكهنة (القساوسة)، الليفيون، الشعب (العامة).

٤- وكان ترتيب الأنشطة: مثلا الجلوس، التحدث فى الاجتماعات يتحدد على حسب الرتبة التى يحتلها الشخص العضو.

٥- فى كل سنة يعقد اجتماع دينى عام تناقش فيه الأحوال الشاملة العامة للمجتمع وكل عضو يجلس فى المكان المحدد له حسب مكانته.

٦- ومن الجدير بالذكر أن أعضاء الجماعة فى مجموعهم كانوا متطوعين، وهبوا أنفسهم "لفعل الخير والحق أمام الله".

٧- وكان على الأعضاء أن ينفذوا الآتى: أن يفصلوا أنفسهم عن مجتمع الأشرار، وأن يحبوا كل أبناء النور، وأن يبغضوا كل أبناء الظلام. أن يمارسوا داخل المجتمع (الطائفة) الصدق والتواضع وأن يتصرفوا بالحق والعدل وأن يحبوا الرحمة وأن يمشوا متواضعين فى كل مسالكهم.

٨- كانت فكرة الوحدة هى قلب الطائفة وكان الأعضاء يتشاطرون الضرورات الروحية والمادية للحياة فيما بينهم. فهم يأكلون جماعيًا، ويتباركون جماعيًا ويتشاورون جماعيًا.

٩- التبتل (العزوبة: عدم الزواج) مفروض داخل الجماعة وإن لم ينص عليه صراحة. ولكن فى مثل مجتمع الإيسينيين يتزوجون.

١٠- وكان أعضاء الجماعة يقضون معظم أوقاتهم فى دراسة الشريعة (القانون)، وكان ذلك يتم بصفة مستمرة فى النهار والليل طوال السنة. وفى كل مجموعة مكونة من عشرة كان لا بد من وجود عضو واحد على الأقل يدرس ويفسر الشريعة (القانون). وكانت المجموعة تقسم إلى ثلاث "ورديات" لكى تظل قراءة القانون ودرسه مستمرة طوال الليل.

١١- ولكى يفى دارس الكتاب المقدس بكل متطلبات القراءة والدراسة كان هناك إصرار شديد على التطهر الروحى والبدنى. وحيث كانت هناك أشكال مختلفة من الغسل والوضوء بالماء إلى جانب فكرة الغسيل الروحى؛ وكلاهما أساسى.

١٢- ويتحدث المزمور الختامى فى "دليل النظام" عن صلاة بزوغ الشمس وصلاة غروب الشمس وصلاة الأهلة الجديدة (القمر) وفى الأعياد وبداية كل سنة وإنا كنا لا نفهم من النص هل هذه هى الصلاة العامة أو الصلوات الخاصة..

١٣- وكان أعضاء الجماعة كما ألمعت يحتفلون كل عام بتجديد العهد والميثاق فى "يوم الكفارة" وحيث يقوم كل الأعضاء فى هذا اليوم بالاعتراف بذنوبهم وخطاياهم ويجددون التزامهم بالعيش طبقًا لإرادة الله.

١٤- من واقع "دليل النظام" كانت هناك جزاءات توقع على المخالفات التى يرتكبها العضو ونظرًا لكثرتها نقتطع منها الأحوال الآتية:

أ- إزعاج الجار فى الجلسات العامة: العزل فى معزل منفرد عشرة أيام.

ب- مغادرة العضو جلسة (الكثرة) بدون عذر وعن قصد لثلاث مرات خلال الجلسة الواحدة: العزل فى معزل منفرد لعشرة أيام وفى بعض الحالات لمدة ثلاثين يومًا.

ج- النوم خلال جلسة (الكثرة): ثلاثون يومًا فى العزل.

د- البصق خلال جلسة الكثرة: ثلاثون يوما فى العزل.

هـ- العرض غير اللائق لبعض أجزاء الجسم ولو بالإشارة اليدوية نحوها: ثلاثون يومًا فى العزل.

و- الانغماس فى ضحكات غبية هستيرية: ثلاثون يومًا فى العزل.

ز- الغش خلال التصرف فى أملاك المجتمع (الطائفة) أو التسبب فى دمار أو خسارة دون مبرر: ستون يومًا فى العزل.

ح- الانغماس فى حدث غير لائق: ثلاثة شهور فى العزل.

ط- ارتكاب خدعة أو القيام بغش أحد الجيران: ثلاثة شهور فى العزل.

ي- إضمار الحقد والضغينة للجار دون سبب قانونى: ستة شهور فى العزل (وقد أضاف كاتب متأخر فوق السطر "سنة واحدة".

ك- التحدث إلى الكاهن (القسيس) بحنق وغضب بدون قصد: ستة شهور فى العزل.

ل- الكذب العمد: ستة أشهر فى العزل.

م- خداع الجار فى الكلام أو ممارسة الخداع عن عمد: ستة أشهر فى العزل (ثلاثة أشهر إذا كان الخداع غير مقصود قولاً أو فعلا).

ن- عرض الجسم بدون ملابس كافية على الملأ – مع كونه غير فقير -: ستة أشهر فى العزل.

س- الشكوى أو التذمر من الجار دون سبب قانونى: ستة أشهر فى العزل.

ع- الكذب العمد فى شأن من شئون الممتلكات الشخصية: الإبعاد عن (نقاء الكثرة) لمدة عام وغرامة مقدارها ربع مخصصات طعامه. (أى أن ها الشخص يوضع فى المعزل لمدة عام كامل ويعتبر خارج حالة النقاء المطلوبة لعضوية المجتمع على ما أسلفت).

ف- الرد على الجار بعجرفة أو التحدث إليه بغضب. سنة واحدة فى العزل.

ص- التحدث بغضب عمدى مع القسيس: سنة واحدة فى العزل.

ق- القذف والتشهير وتشويه سمعة الجار بدون حق وعن عمد: سنة واحدة فى العزل.

ر- لعن من يقرأ السفر أو التبريكات: الطرد والإبعاد مدى العمر.

ش- التذمر من المجتمع ككل: الطرد والأبعاد بلا عودة.

* * *

obeikandl.com